

الدور الثقافي في الكسوع

للاستاذ عباس خضر

أعمال المؤتمر الثقافي وتوصياته :

أتينا في الأسبوع الماضي على اللجان التي ألفت في المؤتمر الثقافي العربي الثاني ، ونذكر الآن أنه بعد أن فرغت هذه اللجان عرضت تقريراتها على الهيئة العامة للمؤتمر التي عقدت جلساتها في اليومين الأخيرين من أيام المؤتمر ، فناقش الأعضاء توصيات اللجان ، وكان الرأي يؤخذ فيها واحدة واحدة ، ووافق المؤتمر عليها مع تعديل بعضها . وقد رأس هاتين الجلستين الأستاذ شفيق غبريال بك نائباً عن معالي الرئيس الدكتور طه حسين بك ، وقد جرت المناقشة في نظام تام ، وكان شفيق بك حربصاً على إتاحة الحرية في الإعراب عن الرأي ، كما كانت صبوراً واسع الصدر في حزم .

نظر المؤتمر تقرير اللجنة المكلفة بدراسة ما نفذته دول الجامعة العربية من قرارات وتوصيات المؤتمر الثقافي الأول ، فتبين أن مناهج التعليم في أكثر البلدان العربية تسير وفق الكثير من تلك التوصيات ، وأن أكثر هذه البلدان عملاً بها هي سوريا ، وأن الحكومتين السعودية واليمنية لم ترسلا تقريريهما بهما . في هذا الشأن ، فیر أن مندوبيها أدليا بيانين شفويين يتضمنان أن قرارات المؤتمر الأول موضع عناية هناك . وقد قرر تشكيل لجنة للنظر في موضوع الكتاب المدرسي وفي وضع مناهج موحدة في القدر المشترك بين قرارات المؤتمر الأول ، وتوصية حكومات الدول الأعضاء بضرورة تنفيذ ما يوصى به المؤتمر .

ونظر تقرير اللجنة المؤلفة لبحث موضوع تعليم أولاد اللاجئين الفلسطينيين ، فلاحظ أن الجهود التي بذلتها البلاد

العربية إلى الآن في هذا الغرض جهود متفرقة ولم تشمل إلا تعليم عشرين في المائة من مجموع من هم في سن التعليم من أبناء اللاجئين ، كما تبين أنه ليس هناك إحصاء دقيق لعدد وأحوالهم وقد أوصى المؤتمر بعدة توصيات منها تأليف لجنة تتفرع من اللجنة العامة لشؤون فلسطين ، تكون مهمتها التفرغ للنواحي التعليمية من القضية الفلسطينية ، ومنها فتح أبواب المدارس جيمها في البلاد العربية في وجه أبناء اللاجئين وأن ياملوا كأبناء الدولة نفسها ، وأن تستفيد كل دولة من المعلمين النازحين إليها من فلسطين بضمهم إلى هيئاتها التعليمية الأصلية ومعاملتهم כאواطنين على أساس المساواة ، وتعديل الأنظمة والقوانين التي تحول دون استخدامهم ، وأن تقوم اللجنة المقترحة بإحصاء دقيق لعدد الأساندة والطلاب اللاجئين .

ونظر تقرير لجنة الثقافة العربية ، وقد وافق المؤتمر على ما اقترحتة اللجنة من تخصيص مؤتمر عربي ثقافي مقبل لدراسة موضوع الثقافة العربية دراسة تحليلية مفصلة ، كما وافق على سائر توصياتها ، وأولها العمل على تحقيق الوحدة اللغوية في المجتمع العربي حتى تكون لغته الفصحى لالة التعليم والتأليف لحسب ، وقد جرت مناقشة في هذه النقطة أراد فيها بعضهم أن يمدل صيغتها بحيث تكون : العمل على نشر اللغة الفصيحة في المجتمع العربي ، ولكن الأكرية أصرت على الصيغة الأصلية ، ومن هذه التوصيات مواصلة العمل على ترقية الثقافة العربية من طريق إحياء تراثها القديم وتأليف لجنة من المختصين في البلاد العربية لحصر المخطوطات واختيار ما ينبغي تقديمه منها للنشر ، وتأليف لجنة أخرى لاختيار أمهات الكتب الأجنبية في العلم والأدب والفن لترجمتها إلى اللغة العربية ، وتسهيل نشر الكتب والمجلات والصحف العربية في مختلف البلاد العربية وإزالة القيود المفروضة على التصدير والاستيراد ، ومعالجة مشكلة تحويل النقد ، وعدم الحد من حرية التفكير والتداول إلا في الحدود التي يسوغها القانون وتقرر تأليف لجنة برئاسة معالي وزير المعارف المصرية وعضوية ممثلين للدول العربية ، للمعاونة على الإعداد للمؤتمر الثالث ويكون من عملها وضع كتاب عن خصائص الثقافة العربية ومقوماتها والمشكلات التي تواجهها في العصر الحاضر ،

ووضع كتاب في وصف خصائص الثقافة العربية للمقابلة والموازنة ونظر المؤتمر في تقرير لجنة الإعداد للحياة ، وقد لوحظ أنه أطال بذكر أمور تربوية مما هو معروف ومدون في كتب التربية ، وهو يتضمن الحث على مقاومة النزعة الكلامية والاهتمام بالناحية العملية ، وهو مع ذلك أكثر التقارير كلاماً وتتجه التوصيات في هذا الموضوع إلى العمل على أن يكتب الناشئ القدرة على ممارسة الحياة والمشاركة في شؤونها ، وتضمنت هذه التوصيات أهمية العناية بإعداد المعلمين ، ورفع مستوى المدرسين مادياً واجتماعياً ، وعقد مؤتمر خاص بإعداد المعلم في البلدان العربية . وأقر المؤتمر تقرير لجنة التوسع في التعليم الثانوي والعالي ، ومن توصياته في هذا الموضوع أن يكون التعليم في مرحلتيه الابتدائية والثانوية مجانياً ، وأن تكون الناهج ذات صلة وثيقة بالبيئة والحياة ، وأن يكون التعليم العالي حقاً للناشئين وذوي المواهب وعلى الحكومات أن تيسره لهم بأعفائهم من نفقاته ومنحهم المساعدات المالية ، وتلخصت اللجنة عقبات التوسع في المعلمين والباقي والميزانية ، وأوصت بالتوسم في إيجاد البعث إلى الجامعات الأجنبية وفي استقدام الأساتذة الأجانب ، وذلك للتعلم على عقبة قلة الأساتذة الجامعيين .

ثم عقدت الجلسة الختامية برئاسة معالي الدكتور طه حسين بك رئيس المؤتمر ، فتحدث ممثلو الوفود الرسمية حديث المودة والتحية والشكر ، ثم وقف معالي الرئيس فألقى كلمة أعرب فيها عن شموه بالتقصير في جانب الوفود العربية وأشاد بفضل العرب على مصر قائلاً إن مصر إن قامت بشيء نحوكم فأعنا ترد الفضل فتكم تعلمنا أدب العرب وعلمكم أخذنا الحضارة العربية ، وقال معاليه للأعضاء : انني أهنئكم بأمرين الأول خاص بالجهود التي بذلتموها والنتائج التي وصلتكم اليها ، وأعاهدكم على أنني سأدرس القرارات التي اتخذتموها وسأعمل على إنفاذها فوراً ولن أنتظر حتى تدرسها الجامعة العربية ونوصي بها لأنني مؤمن بها كما أتم بها مؤمنون ، الأمر الثاني هو أنكم قد فرغتم من عناء الدرس والبحث في المؤتمر وتستطيعون الآن أن تنفروا في البلاد المصرية دون أن تأخذوا أنفسكم بشيء من القيود ودون أن يأخذكم شقيق بك غريبال بالحزم .

وانتقل جميع الأعضاء على أثر ذلك إلى « كازينو سانت استفانو » حيث تناولوا المشاء تلبية لدعوة معالي الرئيس ، وبعد المشاء ألقى الشاعر العراقي الكبير الاستاذ مهدي الجواهري قصيدة مطولة عنوانها « تحية مصر » وهي قصيدة جيدة أعرب فيها عما يربط مصر والمراق من روابط الاخوة التي لا ينال منها صنيع بعض الساسة الذي ينكره الشعب . وبعد ذلك معالي الدكتور طه حسين بك كلمة وصف فيها قصيدة الجواهري بأنها جمعت بين طرائف المعصر وجزالة العرب وكرر معاليه الدعوة إلى عقد المؤتمر الثالث في مصر ، وكان قد وجه هذه الدعوة أيضاً في جلسة المؤتمر ، حتى يتاح لمصر أن تقدم للوفود من الحفاوة ما لم يتح لها في هذا المؤتمر

محاضرات المؤتمر

كانت المحاضرة الخامسة ، من المحاضرات العامة التي أعدت لتلقى في خلال الأيام التي ينمقد فيها المؤتمر ، هي محاضرة تربية النزعة المدنية لدى الشباب ، للدكتور زكي نجيب محمود وقد بدأها بالتساؤل عن سبب تأخرنا عن الغرب ، وانتهى إلى أن - هذا السبب إنعاهو أننا نصدر في أعمارنا وتصرفاتنا عن الساطفة ، قائلاً : إن الشائبة التي تعيب كياننا وتضعف بنياننا هي « تضخم في العواطف وانكماش في العقل » وإن العلاج الذي يطالب رجال التربية أن يتناولوا به الجيل الناشئ هو أن يمحسروا الساطفة في أضيق دائرة ممكنة ليفسحوا للعقل أوسع نطاق ممكن وقد عرف الساطفة بأنها الميل الشخصي الذاتي الذي لا يؤيده شيء من الواقع كما لا يتقضه شيء من الواقع وعرف العقل بأنه مجموعة الأقوال التي يمكن التحقق من صوابها أو خطئها ، وقال إن أوربا نهضت في القرن السادس عشر لأنها تقصت عن نفسها غبار العقيدة (فسر العقيدة بأنها الرأي الذي يصدر عن عاطفة) لتلقى بزمامها إلى العقل ، وإن التقدم الذي أصابه الإنسان إنما يرجع إلى تغيير نظراته إذ أصبح في مجال البحث العلمي لا يقول القول إلا إذا اقتنعت به الحواس ورضى العقل ، وإننا إذا أردنا أن نلتحق بركب التقدم يجب أن نصنم ما صنعت أوربا إبان نهضتها ، فإن حالتنا سيئة بما لها إذ ذاك ، فيجب أن نزل عن الإيمان بالقلب إلى الإيمان بالعقل ، والدعوة إلى العلم وحده هي الدعوة إلى المعرفة الصحيحة . ثم ندد بالطريقة المدرسية

الشغب في المؤتمر :

كانت محاضرة الدكتور زكي نجيب محمود مساء يوم الاثنين ، وكان المقرر أن يتلو الأستاذ عبد العزيز القوصي بمحاضرة عن الأزمات النفسية بين طلبة المدارس الثانوية ، ولكن المحاضرة الأولى أثارت ضجة ، إذا اعتبرها بعض الأعضاء دعوة إلى الإلحاد ، وطالبوا أن يجري التمليق عليها والمناقشة فيها طال الوقت ولو أدى ذلك إلى تأخير المحاضرة الثانية ، ورأى الرئيس المشرف على المحاضرات ، الأستاذ متى عقراوى ، أن تلقى المحاضرة الثانية أولاً ، وأبدى في ذلك بعض الأعضاء ، ولكن طلاب المناقشة وقفوا بمنف وحالوا دون إلقاء المحاضرة ، وانقلبت هذه الضجة إلى عراك ، وأراد بعضهم أن « يتفاهم » بالأيدى والكرامى ... ثم انفض الجمع وأغلقت القاعة . وقد أدى ذلك إلى إلقاء محاضرة الأستاذ القوصي ، بل إلى إلقاء بقية المحاضرات ماعدا محاضرة الأستاذ الشيخ شلتوت التي ألقاها يوم الأربعاء .

وما يذكر أن تلك « المهارشة » وقعت بين الأعضاء المصريين فقط ، وأنها امتداد للحملة أو العاصفة التي تحدثت عنها في الأسبوع الماضى ، ولم يفت الأعضاء غير المصريين أن يلاحظوا أن هذا الشغب يرجع إلى دوافع شخصية أو دوافع نفسية أو كليهما ، ولم يفت أحد من العقلاء جيماً أن يستنكر هذه الأساليب التي لا تليق بالمجتمعات الثقافية .

وما يذكر أيضاً أن ذلك الشغب أبتلع أو كاد بعد الحادث الذى وقع على أثر تلك المحاضرة ، وقد فهمت - من سيد - أن انحسار الشغب عن المؤتمر بعد ذلك يرجع إلى أن معالى رئيس المؤتمر الدكتور طه حسين بك أبدى غضبه لهذه الحال بطريقة ما ، فملوا أنه غير راض عن هذه التصرفات ، على خلاف ما كان يوعز إليهم .

معرضه الزمفرقة المؤثر لسيه :

هو معرض ورائع من عمل الفنان المراق السيد يوسف محمود غلام ، وقد استعدته الإدارة الثقافية من بغداد ليعرض أعماله الفنية في المؤتمر الثقافى . وآسف لضيق المقام في هذا الأسبوع عن الحديث عن هذا المعرض العظيم ، غير أنه لا بد الآن من

عندنا لأنها تعتمد على الحفظ سواء أكان الحفظ قرآناً أم غيره . فالمدارس لازال (كتابات) وقال : إن تربية الناشئ تربية علمية فمنهاها إلا يسلم بمقيدة لأنها شائعة والأبأخذ رأى لأنه رأى موافق بتوقيع صاحبه بل يجب أن تقوم التربية على تحكيم العقل فيكون للناشئ حق النقد كيف شاء .

ولاشك أن أساس المحاضرة سليم من حيث الدعوة إلى العلم والسير على مقتضى العقل ، ومن حيث نقد ما يسود حياتنا على اختلاف أواحيها من عواطف سخفاء وعشواء ولكن الدكتور زكي نجيب قد قال راشط كدأبه فقل من شأن الماطفة بل أنكرها كل الأنكار ، وجعل العقل وحده كل شيء في تقدم الإنسان ورفقه وأسند تأخرنا إلى ماسماه « تضخم المواطن » والواقع أن عواطفنا المتضخمة التي تسوقنا إلى الخرافات والأوهام ليست هي المواطن المنشودة للإنسانية والتي لا تكون الإنسانية إلا بها ، فالماطفة المنشودة هي « الماطفة العاقلة » وإذا اعتبرنا هذا المعنى أمكن القول بأننا لانصدر فيما نأتى وندع عن عاطفة ولا عن عقل

فليدع من يدعو إلى العقل وإلى العلم ، وما أشد حاجتنا إليها ، ولكن كيف نبش من غير عقيدة وقلب وعاطفة ، وما موقفنا إذن من قيمنا ومثلنا الروحية ؟ حقاً أشار الدكتور زكي في المحاضرة إلى أنه لا ينكر أثر الأدب والفنون في ترقية الأذواق وتهذيب النفوس لكنه لم يبين كيف يتفق الاقرار بهذام انكرا الماطفة والوجدان هل يريد « فنونا علمية » وكيف تكون ؟

ثم كيف يتجرد الناس من القلب الانساني وكيف تكون حياتهم إذا أسكنوا بنسبه ؟ وهل حقاً يسير المجتمع الغربى - إذا سلمنا بأن لا بد لنا من السير في أثره - بلا عاطفة ؟ وإذا احتج أحد بمسب الحياصة وطغيان الاستعمار فهل الحياة الغربية كلها سياسة واستعمار ؟ وكانت المحاضرة الأخيرة هي محاضرة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عن « المنصر الروحى وصلته بأعداد المواطن الصالح وقد بين فيها أثر الدين في تربية الناشئ وتحدث عن أعداد من سماه « الدينى الخاص » وعنى به المختص بالتقافة الدينية وقال إنه لا يكفى في أعداده أن يتبحر في علوم الدين بل يجب أن توجه أكبر عناية إلى تربيته بحيث يخرج الدين بقلبه كما يلم به عقله . ومما قاله أن العالم يحتاج إلى هداية يرجى أن تضم عليه من هذا الشرق .